صة آية

16

الوعد الحق

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



الوَعْدُ الحَقّ

قالَ (تعالَى) :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢]

انْتَهتْ معْركَةُ بدرٍ الْكُبْرَى بانْتِصارٍ كَبيرٍ لِلْمُسْلِمينَ على كُفَّارِ مكَّةَ ، بَعْد أَنْ لَجأَ الرَّسُولُ ﷺ إلى اللَّهِ سُبْحانَهُ و(تعالَى) ودَعَاهُ قائلاً :

ـ اللَّهُمَّ هَذه قُرَيْشٌ جَاءَتْ بِخُيَلائِها وفَخْرِها ، جاءَتْ تُحَادُّكَ وتُكَذِّبُ رُسُلَكَ .

وقامَ الرَّسولُ ﷺ ورفعَ يَدَيْه إلَى السَّماءِ ، واستنْصَرَ ربَّهُ وقالَ :

ـ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي ما وَعَدْتَنِي ، اللهُمَّ إنِي أَنْشُدُكَ عهْدَكَ ووَعْدَكَ .

وكانَ أَبوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَريبًا مِنْهُ يرَى حَالَهُ ويَسْمَعُ دُعاءَهُ فقالَ لهُ فِي ثِقَةٍ بِنَصْرِ اللَّهِ :

ـ يا رَسُولَ اللَّهِ ! أَبْشِرْ ، فَوَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُنْجِزَنَّ اللَّهُ لَكَ ما وَعَدَكَ .

وجاءَ النَّصْرُ مِنَ اللَّهِ ، وأَنْزَلَ اللَّهُ جُنْدَهُ ، وأَيَّدَ رَسُولَهُ والْمؤْمِنينَ فَفَرَّ الْمُشْرِكُونَ

مِنْ أَمَامِهِمْ ، بعْدَ أَنْ قُتِلَ منهم سبعون رجلاً وأُسِرَ منهمْ سبعون آخرون .

ونَظَرَ الْيهودُ إِلَى ما حَقَّقَه الْمُسلمونَ مِنَ انْتِصارٍ بِدَهْشَةٍ واسْتِغرابٍ ، وتفكَّرُوا فى هذهِ الْمُعْجزة قليلاً بِهُدُوءٍ قائلين : كَيْفَ انْتَصَرَ الْمُسْلِمون وهمْ قِلَّةٌ على الكُفَّارِ وهمْ كَثْرَةٌ ؟

وبَعْدَ تَفْكيرٍ قالوا لبعْضِهِمْ :

ـ لقَدِ انْتَصَرَ مُحَمدٌ وأَصْحابُهُ على الكُفَّارِ فى مَعركَةِ بَدْرٍ ، برَغْمِ أَنهُمْ كانوا قِلَّةً ، وهذا واللَّهِ هوَ ما بَشَّرَنا به مُوسَى عليه السلام .

ثمَّ أَضَافُوا قائِلين :

ـ إِنَّ مُحمدًا نَبِيٌّ لا تُرَدُّ له رايَةٌ ، ولا يُهْزَمُ لَهُ جَيْشٌ ، ونحنُ نعرِفُ صِفَاتِهِ فى التَّوْراةِ كما نزَلَتْ على مُوسَى .

وفى النِّهَايَةِ اتَّفقَ هؤُلاءِ الْيَهُودُ على الإِيمانِ بدَعْوَةِ مُحمدٍ ﷺ لأَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وقَرَّرُوا أَنْ يذْهَبوا إِلَيْهِ لِكَيْ يُعْلِنوا إِسْلامَهُمْ علَى الْفَوْرِ .

وقَبْلَ أَنْ يذْهَبوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وقفَ كَبيرُهُمْ وقالَ :

ـ عِنْدِى رَأْىٌ .

فقالوا جَميعًا :

ـ ومَا هُوَ ؟

فقالَ :

ـ أَرَى أَلا نَتَعَجَّلَ فى الأَمْرِ ، عَلَيْنا أَنْ نَنْتَظِرَ ما تُسْفِرُ عَنْهُ الأَيَّامُ الْقَادِمَةُ ، فإذا انْتَصَرَ مُحَمدٌ وأَصْحابُهُ فى الْمَعْركَةِ الْقَادِمَةِ اتَّبَعْنَاهُمْ ، وإنِ انْهَزَموا ـ وهذا هُوَ الرَّاجِحُ ـ بَقِينَا علَى مَوْقِفِنا .

ولاحَتْ مِنَ الْجَميعِ ابْتِسَامَةٌ عَريضَةٌ وقالُوا جَميعًا :

ـ نِعْمَ الرَّأْىُ ، فإنَّ الْعَجلَةَ مِنَ الشَّيْطانِ !

وتراجَعَ الْيهُودُ فى غَمْضَةِ عَيْنٍ ، وفَضَّلوا أَنْ يبْقَوْا بَعيدًا عَنْ مَسْرحِ الأَحْداثِ مُنْتَظِرينَ ما تُسْفِرُ عَنْهُ الأَيَّامُ .

وجَمَعَ الرَّسولُ ﷺ الْيهودَ بعْدَ غَزْوةِ بَدْرٍ ، وحَاوَلَ أنْ يَدْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ ويذكِّرَهُمْ بِقُدْرَةِ اللَّه ونَصْرِهِ لِلْمُسلمين على الكُفَّارِ ، وقالَ لَهُمُ الرسُولُ ﷺ :

ـ يا مَعْشَرَ الْيَهودِ ، احْذَرُوا مِنَ اللَّه مِثْلَ ما نَزَلَ بِقُرَيْشٍ يوْمَ بَدْرٍ ، وأَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بكُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّى نَبِىٌّ مُرْسَلٌ ، تَجِدُونَ ذلكَ فى كِتَابِكُمْ وعهْدِ اللَّهِ إلَيْكُمْ .

لكنَّ الْيهودَ أصَمُّوا آذانَهُمْ عنْ سَماعِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وقالوا فى تَبَجُّحٍ :

ـ يا مُحمدُ ، لا يغُرَّنَّكَ أنَّكَ لَقيتَ قَوْماً أَغْماراً لا عِلْمَ لَهُمْ بالْحَرْبِ ، فأصَبْتَ فيهمْ فُرْصَةً ، ثم أَضافوا فى وقَاحَةٍ :

ـ أمَا واللَّهِ لو قَاتَلْناك لَعَلِمْتَ أنَّا نَحْنُ النَّاسُ !

وبَرغْمِ قُدْرَةِ الرسُولِ ﷺ على مُعَاقَبَةِ هَؤُلاءِ الْيهودِ واسْتِئْصَالِ شَوْكَتِهِمْ ، فقدْ مَنَحَهُمُ الْفُرْصَةَ لِيَثُوبُوا إِلَى رُشْدِهِمْ وصَوَابِهِمْ .

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ مُسْرِعَةً ، والْتَقَى الْمُسْلِمُونَ والْمُشْرِكُونَ فِى غَزْوَةِ أُحُدٍ ، وانْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ بِخَسَارَةِ الْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ لأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ ، وأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُلَقِّنَ الْمُسْلِمِينَ دَرْسًا فِى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِهَذِهِ الْهَزِيمَةِ ، وتَعَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ بِالْفِعْلِ مِنْ هَذِهِ الْهَزِيمَةِ واسْتَفَادُوا مِنْهَا الْكَثِيرَ فَلَمْ يُخَالِفُوا أَمْرًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَتَحَوَّلَ مَوْقِفُ الْيَهُودِ إِلَى الضِّدِّ بِسَبَبِ هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِى أُحُدٍ ، فَقَدْ قَالُوا لِبَعْضِهِمْ :

ـ ليْس مُحمدٌ هو النَّبِيُّ الذي بَشَّرنا به مُوسَى ، فَلَوْ كانَ نبِيًّا حقًّا لما حَدثَ له ما حَدَثَ .

ثمَّ أَضافوا :

ـ الْحَمْدُ للَّه على أَنَّنا لم نتَعَجَّلِ الأَمْرَ ، وانْتَظَرنَا حتَّى تأَكَّدْنا مِنْ عَدَمِ صِدقِ مُحمدٍ وأَصْحابِه .

وكانَ بيْنَ الْيهودِ وبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ عهْدٌ ، كانَ بِمُقْتَضاهُ أَنْ يَعيشَ الطَّرفَانِ في سَلامٍ ولا يَعْتَدِيَ طَرَفٌ على آخَرَ ، فقالَ الْيهودُ بعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ :

ـ يَجبُ أنْ نلْغِىَ هذا الْعَهْدَ مع مُحَمدٍ وأَصْحابِهِ ، حتَّى إذا واتَتْنا الْفُرْصَةُ قاتَلْناهُمْ .

ونَقَضَ الْيهودُ الْعَهْدَ الذى كانَ بيْنَهُمْ وبيْنَ رسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وفكَّرُوا فى حِلْفٍ جَديدٍ يَحْتَمُونَ بهِ ، ففكَّرُوا فى التَّحالُفِ مع قُرَيْشٍ ضدَّ مُحمدٍ ﷺ .

وانْطَلَقَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ أَحَدُ زُعَماءِ الْيهودِ ومَعهُ سِتُّونَ رجُلاً إلى أهْلِ مَكَّةَ وقالوا لهمْ :

ـ يَوْمٌ بِيومِ بَدْرٍ ، والْحَرْبُ سِجالٌ ،

وما انْتَصَرْتُمْ علَى مُحمدٍ وأَصْحابِهِ إلا لأَنكُمْ على حَقٍّ وهمْ على الْبَاطِلِ .

فشَكَرَ الْمُشْرِكونَ الْيَهودَ على ذلِكَ وقالُوا لَهُمْ :

ـ يَجِبُ أَنْ نكُونَ يداً واحِدَةً على مُحمدٍ وأَصْحابِهِ حتى نَهْزِمَهُ هزِيمَةً ساحِقَةً ، ونقْضِيَ علَيْهِ قضاءً مُبْرَماً .

فقالَ اليهودُ :

ـ وهلْ جئْنَا إِليكُمْ إلا لِهذا الأَمْرِ ؟

فقالَ الْمُشْرِكونَ :

ـ إذنْ فنحْنُ مُنْذُ الآنَ يدٌ واحِدَةٌ على

مُحمَدٍ وأَصْحابِهِ فى الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ .

فقالَ الْيهودُ :

ـ لَتَكُونَنَّ كَلِمَتُنَا واحِدَةً !

وعادَ الْيهودُ إلى الْمدينَةِ بعْدَ أنْ أبْرَمُوا أمْرَهُمْ وتَحالَفُوا مع الْمُشْرِكينَ ضِدَّ الرَّسولِ ﷺ .

ومَا إنْ رَجَعَ الْيَهُودُ إلَى الْمدِينَةِ حتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ (تعالَى) قَوْلَهُ :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢]

واسْتَبْشَرَ الرسُولُ ﷺ والْمُسْلِمونَ

خَيْرًا بِهذهِ الآيةِ الْكَرِيمَةِ ، وعَلِموا أَنَّ نِهايَةَ هؤُلاءِ الْيَهُودِ وشِيكَةٌ ، وقدْ كانَ ، فَبَعْدَ تحالُفِهِمْ مع الْمُشْرِكينَ ووُقُوفِهِمْ معَهُمْ فى غَزْوَةِ الأَحْزَابِ جاءَ جبْرِيلُ بأَمْرٍ منَ اللَّهِ إلى الرسُولِ ﷺ وقالَ لهُ :

ـ أَوَضَعْتُمُ السِّلاحَ ؟ إنَّ الْملائِكَةَ لمْ تَضَعْ بَعْدُ أسْلِحَتَهَا ، انْهَضْ إلى غَزْوَةِ هَؤُلاءِ ، يعْنِى بَنِى قُرَيْظَةَ .

فنَادَى رسولُ اللَّهِ ﷺ وقالَ :

ـ مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا ، فلا يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إلا فى بَنِى قُرَيْظَةَ !

وتسَابَقَ الْمُسْلمون إلَى تَلْبيَةِ أَمْرِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى كانوا علَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ فى بَنِى قُريظَةَ فى الْوَقْتِ الذى حَدَّدَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وحاصَرَ الرَّسُولُ ﷺ بَنِى قُرَيْظَةَ خمْسًا وعِشْرين لَيْلَةً ، حتى جَهَدَهُمُ الْحِصَارُ وقَذَفَ اللَّهُ فى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ .

وبعْدَ ذلك استَسْلَمَ الْيَهُودُ استِسْلامًا تامًّا ، فَقُتِلَ زُعَماؤُهُمْ وأُسِرَتْ نِساؤُهُمْ ، وأَجْلاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ عَنِ الْمَدِينَةَ .

وبذلك تحَقَّقَ وَعْدُ اللَّهِ (تعالَى) فَغَلَبَ

الْيَهُودُ فى الدُّنْيَا علَى أَيْدى الْمُسْلمينَ وفى الآخِرَةِ سَيُحْشَرُونَ علَى وُجُوهِهِمْ إِلَى نارِ جَهَنَّمَ وَبِئْس الْمِهَادُ .

اللَّهُمَّ انْصُرِ الإِسْلامَ وأَعِزَّ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ الإِسْلامَ والْمُسْلِمينَ بِخَيْرٍ فوَفِّقْهُ وأَعِنْهُ وَمَنْ أَرَادَهما بسُوءٍ فاجْعَلْ كَيْدَهُ فِى نَحْرِهِ !

رقم الإيداع : ٥٩٢١ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي : ٩ - ٥٩٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧